الصباح الإسلامية
09
العدد 1649 - السنة السادسة
الخميس 21 شوال 1434 - الموافق 29 اغسطس 2013
Thursday 29 August 2013 - No.1649 - 6th Year

الذي يكره الخير للخلق واهن العزم كليل اليد جاهل بربه

الحسد جمرة تتقد في الصدر فتؤذي صاحبها والناس

- الطموح ينافي الحسد وهو رغبة في الرفعة وسعي إليها وذلك شأن الصالحين من عباد الله
- لا حسد إلا في اثنتين.. مال ينفق في الحق وحكمة تُعلم ويُقضى بها ابتغاء مرضاة الله

وقد حرّم الاسلام الحسد، وأمر الله رسوله أن يستعيذ من شرور الحاسدين لأن الحسد جمرة تتقد في الصدر، فتؤذي صاحبها وتؤذي الناس به والشخص الذي يتمنى زوال النعم آفة تحذر غوائلها على المجتمع، ولا يُطمأن الى ضميره في عمل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يجتمع في جوف عبد غبار في سبيل الله وفيح جهنم ولا يجتمع في جوف عبد، الايمان والحسد». وقال: «اياكم والحسد، فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

والرجل الذي يكره المنعم عليهم، ويودلو يمسون محرومين ويصبحون ضائعين، رجل ضللته عن حقيقة الحياة، ظلمات شتى. انه أولا محصور بالدنيا ومتاعها، يقاتل عليه ويبكي وراءه، ويتبع بالغيظ من نالوا نصبا ضخما منه وهذا خطأ في تقدير الحياتين، بل لعله جهل أو ذهول عن الحياة الاخرى وما ينبغي لها من استعداد، يجب أن يتأهب المرء له، ويأسى لفواته، قال الله تعالى: «يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون». ثم ان الحاسد بعد ذلك، شخص واهن العزم، كليل اليد، جاهل بربه وبسننه في كونه. ذلك أنه لما فاته الخير لأمر ما تحول يكيد للناجحين! حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه فالكل أعداء له وخصوم وكان أجدى عليه أن يتحول الى ربه، يسأله من فضله، فان خزائنه ليست حكرا على واحد بعينه، ثم يستانف السعي في الحياة بعدئذ. فلعل ما عجز عنه في البداية يدركه ثانية، ان هذا لا ريب أشرف من الضغينة على الآخرين.

والبون بعيد بين الحسد والطموح، وبين الحسد والغبطة، وبين الحسد واستنكار العوج في الأضاع والخلط في المنع والعطاء! فالطموح رغبة في الرفعة وسعي اليها، وذلك من شان الصالحين من عباد الله . قال سليمان: «قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك انت الوهاب» وقال عباد الرحمن: «ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما». والتطلع الى فضل الله مع الأخذ في أسباب اكتسابه شيئا، غير كراهية فضل الله عندما ينزل بانسان معين والغبطة رغبة المرء في الحصول على نعمة مماثلة لما أكرم الله به الآخرين.

ولما كان تطلع الانسان الى غيره، قد يكون فتحا لأبواب الفتنة، وتعلقا بالمنى الباطلة، واشتهاء لما يحسبه الشخص نافعا له، وهو في الحقيقة ضار به، أرشد الاسلام الى ما ينبغي طلبه، والتنافس فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا حسد الا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويُعلمها». والحسد في الحديث: تمني مثيل النعمة، لا تمني زوالها. والمقصود أن يكون المثل الأعلى الذي يستهدفه الانسان جليلا رائعا، فان من سقوط الهمة أن ترتبط الآمال بالتافه من الأحوال.. وهناك شؤون يعتبر التشبث بطلبها عبثا لا يورث الا الحسرة، وقد ينتهي بالحقد على الناس، لا لشيء فشل حيث نجح غيره وربما تخلف حيث سبق آخرون.

ومن الغباء أو من الوضاعة أن تلتوي الأثرة بالمرء فتجعله يتمنى الخسار لكل إنسان لا لشيء إلا لأنه هو لم يربح ثم إن المسلم يجب أن يكون أوسع فكرة وأكرم عاطفة فينظر إلى الأمور من خلال الصالح العام لا من خلال شهواته الخاصة. وجمهور الحاقدين تغلي مراجل الحقد في أنفسهم لأنهم ينظرون إلى الدنيا فيجدون ما يتمنونه لأنفسهم قد فاتهم وامتلأت به أكف أخرى وهذه هي الطامة التي لا تدع لهم قرارا وقديما رأى إبليس أن الحظوة التي يشتهيها قد ذهبت إلى آدم فالبي الا يترك أحدا يستمتع بها بعدما حرمها، «قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين». هذا الغليان الشيطاني هو الذي يضطرم في نفس الحاقدين ويفسد قلوبهم وقد أهاب الإسلام بالناس أن يبتعدوا عن هذا المكر وأن يسلكوا في الحياة نهجا أرقى وأهدأ.

عن أنس بن مالك قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يطلعُ الآن عليكم رجل من أهل الجنة فطلع رجل من الأنصار تنظف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال النبي مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى فلما كان اليوم الثالث قال النبي مثل مقالته أيضا فطلع ذلك الرجل على مثال حاله الأولى.

فلما قام النبي قام عبدالله بن عمر وتبع الرجل فقال: إني لا حيت أبي فاقسمت الا أدخل عليه ثلاثا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت! قال: نعم. قال أنس: فكان عبدالله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تعارتقلب في فراشه ذكر الله عز وجل حتى ينهض لصلاة الفجر قال عبدالله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا. فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أحتقر عمله قلت: يا عبدالله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله يقول لك ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوي إليك. فأنظر ما عملك فاقتدي بك فلم أرك عملت كبير عمل! فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله؟ قال: ما هو إلا ما رأيت قال عبدالله فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير اني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه. فقال عبدالله: هذه التي بلغت بك» وفي رواية: «ما هو إلا ما رأيت يا ابن أخي إلا أني لم أبت ضاغنا على مسلم».

- استنكار العوج في الأوضاع إقرار للعدالة الواجبة كالغضب على عامل يأخذ الكثير على جُهد قليل
- لله في دنيا الناس نفحات لا يظفر بخيرها إلا الأصفياء السمحاء

لا لأن الله خصهم بمواهب فطرية أو بمنافع تقوم على هذه المواهب. وفي هذه الشؤون وأمثالها يقول الله تعالى: «ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما».

وأما استنكار العوج في الأوضاع، فهو اقرار للعدالة الواجبة، وليس من قبيل الحسد المذموم فاذا غضبنا لأن هذا أخذ الكثير على جُهد قليل، أو رفع الى درجة لا ترشحه لها كفايته، فهذا الغضب مفهوم ومحمود، وهو ضرب من رعاية المصالح العامة، لا صلة للحقد الشخصي به.

ان الاسلام يتحسس النفوس بين الحين والحين، ليغسلها من أدران الحقد الرخيص، وليجعلها حافلة بمشاعر أزكى وأنقى نحو الناس ونحو الحياة في كل يوم، وفي كل أسبوع، وفي كل عام تمر النفوس من آداب الاسلام في مصفاة تحجز الأكدار، وتنقي العيوب، ولا تبقي في الأفئدة المؤمنة آثاره من ضغينة أما في كل يوم؛ فقد أوضح الاسلام أن الصلوات المكتوبة لا يحظى المسلم بثوابها الا اذا اقترنت بصفاء القلب للناس، وفراغه من الغش والخصومات. قال رسول الله: «ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا: رجل أمّ قوما وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان مُتصارمان». وأما في كل أسبوع، فان هناك احصاء ما يعمله المسلم، ينظر الله فيه ليحاكم المرء الى ما قدمت يداه، وأسرّه ضميره، فان كان سليم الصدر نجا من العثار، وان كان ملوثا بمآثم الغضب والحسد والسخط، تأخر في المضمار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس: فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا، الا امرءا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا». وأما في كل عام فبعد تراخي الليالي وامتداد الأيام، لا ينبغي أن يبقى المسلم حبيسا في سجن العداوة، مغلولا في قيود البغضاء فان لله في دنيا الناس نفحات لا يظفر بخيرها الا الأصفياء السمحاء! ففي الحديث: «ان الله عز وجل يطلع على عباده، ليله النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويُؤخرُ أهل الحقد كما هم» فمن مات بعد هذه المصافي المتتابعة، والبغضاء لاصقة بقلبه لا تنفك عنه، فهو جدير بأن يصلى حر النار فان ما عجزت الشرائع عن تطهيره، لا تعجز النار عن الوصول الى قراره، وكي أضغانه وأوزاره.

الشريعة حرّمت الغيبة باعتبارها متنفس بغض مكظوم تخرج من صدر فقير إلى الرحمة

النميمة والحقد في النار.. ولا يجتمعان في قلب مسلم

لا يجوز لمسلم أن يتشفى بالتشنيع على مسلم ولو ذكره بما فيه فصاحب الصدر السليم يأسى لآلام العباد ويشتهي لهم العافية، أما التلهّي بسرد الفضائح وكشف المستور، وإبداء العورات، فليس مسلك المسلم الحق. ومن ثم حرم الإسلام الغيبة، إذ هي متنفس حقد مكظوم وصدر فقير إلى الرحمة والصفاء. عن أبي هريرة أن رسول الله قال: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم! قال ذكرك أخاك بما يكره قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟. قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته ومن آداب الإسلام التي شرعها لحفظ المودات، واتقاء الفرقة تحريم النميمة لأنها ذريعة إلى تكدير الصفو وتغيير القلوب وقد كان النبي يتقى أن يُبلغ عن أصحابه ما يسوؤه قال: «لا يُبلغن أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر».

وعلى من سمع شيئا من ذلك ألا يوسع الخرق على الراقع فرب كلمة شر تموت مكانها لو تركت حيث قيلت! ورب كلمة شر سعرت الحروب إن اتسع نقلها ونفخ فيها فأصبحت شرارة تتنقل بالويلات والخطوب.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة نمام» وفي رواية «قتّات». قال العلماء: هما بمعنى واحد. وقيل: النمام الذي يكون مع جماعة يتحدثون فينقل عنهم والقتات الذي يتسمع عليهم من حيث لا يشعرون ثم ينمّ.

وروي في الحديث: «إن النميمة والحقد في النار لا يجتمعان في قلب مُسلم» ومن لوازم الحقد سوء الظن وتتبع العورات واللمز وتعيير الناس بعاهاتهم أو خصائصهم البدنية والنفسية وقد كره الإسلام ذلك كله كراهية شديدة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَن عَلِمَ من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة». وقال: «من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا موؤدة». وكثيرا ما يكون متتبعو العورات لفضحها أشر إجراما، وأبعد عن الله قلوبا من أصحاب السيئات المكتشفة فإن التربص بالجريمة لنشرها أقبح من وقوع الجريمة نفسها. وشتان بين شعورين شعور الغيرة على حرمات الله والرغبة في حمايتها وشعور البغضاء لعباد الله والرغبة في إذلالهم إن الشعور الأول قد يصل في صاحبه إلى القمة ومع ذلك فهو أبعد ما يكون عن التشفي من الخلق وانتظار عثراتهم والشماتة في آلامهم وسلامة الصدر فضيلة تجعل المسلم لا يربط بين حظه من الحياة ومشاعره مع الناس ذلك أنه ربما

ما تعرض له الصحابة من ابتلاء

مصعب بن عمير وخباب بن الأرت

- مصعب نموذج من تربية الإسلام للمترفين الشباب الذين وقفوا بعد إسلامهم أقوياء لا تقهرهم الشهوات
- النبي يعلم بأن الأمور مرهونة بأوقاتها وأسبابها وأن قبل النصر البلاء

كان مصعب بن عمير رضي الله عنه أنعم غلام بمكة، وأجوده حلة، وكان أبواه يحبانه، وكانت أمه مليئة كثيرة المال تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقه، وكان أعطر أهل مكة، يلبس الحضرمي من النعال، ويبلغ من شدة كلف أمه به أنه يبيت وقعب الحيس عند رأسه فإذا استيقظ من نومه أكل، ولما علم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم بن أبي الأرقم دخل عليه فأسلم وصدق به، وخرج فكتم إسلامه خوفا من أمه وقومه، فكان يذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرًا، فبصر به عثمان بن طلحة يصلي، فأخبر أمه وقومه، فأخذوه وحبسوه، وظل محبوسًا حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى. قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: لقد رأيته جهد في الإسلام جهدًا شديدًا حتى لقد رأيت جلده يتحشف، أي يتطاير، تحشف جلد الحية عنها، حتى كنا لنعرضه على قتبنا فنحمله مما به من الجهد. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما ذكره قال: «ما رأيت بمكة أحدًا أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير». ومع كل ما أصابه رضي الله عنه من بلاء ومحنة ووهن في الجسم والقوة، وجفاء من أقرب الناس إليه، لم يقصر عن شيء مما بلغه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخير، والفضل، والجهاد في سبيل الله تعالى، حتى أكرمه الله تعالى بالشهادة يوم أحد.

يعتبر مصعب رضي الله عنه نموذجًا من تربية الإسلام للمترفين الشباب، للمنعمين من أبناء الطبقات الغنية المرفهة، لأبناء القصور والمال والجاه، للمعجبين بأشخاصهم، المبالغين في تأنقهم، الساعين وراء مظاهر الحياة كيف تغيرت؟ ووقف بعد إسلامه قويًا لا يضعف ولا يتكاسل ولا يتخاذل، ولا تقهره نفسه وشهواته فيسقط في جحيم النعيم الخادع.

لقد ودع ماضيه بكل ما فيه من راحة ولذة وهناءة، يوم دخل هذا الدين وبايع تلك البيعة، وكان لابد له من المرور في درب المحنة لكي يصقل إيمانه ويتعمق يقينه، وكان مصعب مطمئنا راضيا رغم ما حوله من جبروت ومخاوف، ورغم ما نزل به من البؤس والفقر والعذاب، ورغم ما فقده من مظاهر النعم والراحة، فقد تعرض لمحنة الفقر، ومحنة فقد الوجاهة والمكانة عند أهله، ومحنة الأهل والأقارب والعشيرة، ومحنة الجوع والتعذيب، ومحنة الغربة والابتعاد عن الوطن، فخرج من كل تلك المحن منتصرا بدينه وإيمانه، مطمئنا أعمق الاطمئنان، ثابتًا أقوى الثبات ولنا معه وقفات في المدينة بإذن الله تعالى.

كان خباب رضي الله عنه قينا، وأراد الله له الهداية مبكرًا، فدخل في الإسلام قبل دخول دار الأرقم بن أبي الأرقم، فكان من المستضعفين الذين عذبوا بمكة لكي يرتد عن دينه، وصل به العذاب أن ألصق المشركون ظهره بالأرض على الحجارة المحماة حتى ذهب ماء مَتْنه.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يألف خبابًا ويتردد عليه بعد أن أسلم، فلما علمت مولاته بذلك، وهي أم أنمار الخزاعية، أخذت حديدة قد أحميتها، فوضعتها على رأسه، فشكا خبابًا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «اللهم انصر خبابًا»، فاشتكت مولاته رأسها، فكانت تعوي مع الكلاب، فقيل لها: اكتوي، فجاءت إلى خباب ليكويها، فكان يأخذ الحديدة قد أحماها فيكوي بها رأسها، وإن في ذلك لعبرة لمن أراد أن يعتبر، ما أقرب فرج الله ونصره من عباده المؤمنين الصابرين، فانظر كيف جاءت إليه بنفسها تطلب منه أن يكويها على رأسها، ولما زاد ضغط المشركين على ضعفاء المسلمين ولقوا منهم شدة، جاء خباب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقال له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا، فقعد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو محمر وجهه، قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

وللشيخ سلمان العودة حفظه الله تعليق لطيف على هذا الحديث: يا سبحان الله ماذا جرى حتى احمرّ وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقعد من ضجعته؟ وخاطب أصحابه بهذا الأسلوب القوي المؤثر، ثم عاتبهم على الاستعجال؟

لأنهم طلبوا الدعاء منه صلى الله عليه وسلم؟

كلا: حاشاه من ذلك، وهو الرؤوف الرحيم بأمته.

إن أسلوب الطلب: ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ يوحي بما وراءه وأنه صادر من قلوب أمضها العذاب، وأنهكها الجهد، وهدتها البلوى فهي تلتمس الفرج العاجل، وتستبطئ النصر، فتستدعيه.

وهو صلى الله عليه وسلم يعلم بأن الأمور مرهونة بأوقاتها، وأسبابها، وأن قبل النصر البلاء، فالرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة. (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ). ويلمس عليه السلام من واقع أصحابه وملابسات أحوالهم، برهم بالعذاب الذي يلاقون، حتى يفتنوا عن دينهم، ويستعلي عليهم الكفرة، ويموت منهم من يموت تحت التعذيب.

وقد لا يكون من الميسور أن يدرك المرء، بمجرد قراءة النص، حقيقة الحال التي كانوا عليها حين طلبوا منه عليه الصلاة والسلام الدعاء والاستنصار، ولا أن يعرف المشاعر والإحساسات التي كانت تثور في نفوسهم إلا أن يعيش حالا قريبًا من حالهم ويعاني في سبيل الله بعض ما عانوا.

لقد كان صلى الله عليه وسلم يربيهم على:

أ- التأسي بالسابقين من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم، في تحمل الأذى في سبيل الله ويضرب لهم الأمثلة في ذلك.

ب- التعلق بما أعده الله في الجنة للمؤمنين الصابرين من النعيم، وعدم الاغترار بما في أيدي الكافرين من زهرة الحياة الدنيا.

ج- التطلع للمستقبل الذي ينصر الله فيه الإسلام في هذه الحياة الدنيا، ويذل فيه أهل الذل والعصيان.